الغريزة

أمثلة من الغرائز [1]

— ٢ —

بقلم الدكتور على عبد الواحد وافى
أستاذ التربية وعلم النفس والاقتصاد السياسى بدار العلوم
وقسم التخصص بالأزهر

١٥ — غريزة الاسترقاق : — وهو استعداد فطرى يحمل الحيوان على استعباد غيره وتسخيره فى قضاء مايحتاجه . وقد زود به كثير من الحيوانات وعلى الأخص بعض فصائل من النمل أشهرها نوع يسمونه « الفورميكاريفيسنس Formica Rufescence » يرجع الى الأستاذ « بيرهيبير P. Huper » الفضل فى الكشف عن هذه الغريزة لديه ، وإليك ملخص ما قاله فى هذا الصدد :

يوجد فى كل قرية من قرى هذا النوع طائفتان من النمل : الطائفة الأولى طائفة الأسياد ويتكون أفرادها من فصيلة « الفورميكاريفيسنس » نفسها ، وتنقسم الى ثلاثة أقسام : الاناث المنتجة والذكور الملقحة والاناث العقم المقاتلة ؛ والطائفة الثانية طائفة الأرقاء التى يتكون أفرادها من فصيلة تسمى « الفورميكا فيسكا Formica Fusca » تختلف اختلافا كبيرا فى لونها وفى حجمها عن فصيلة أسيادها « الفورميكاريفيسنس » (يعيش كثير من جماعات الفورميكا فيسكا فى قرى مستقلة غير خاضعة لأى سلطان أجنبى ، وفى هذه الحالة يوجد فيها ذكور ملقحة وإناث منتجة

(١) راجع العدد الأول من « صحيفة دار العلوم » ص ٨٧ — ٩٨

ولكنها فى حالة رقها وخضوعها للفورميكاريفيسنس تصاب ذكورها وإناثها بالعقم) .

أما الاناث المنتجة فلا عمل لها إلا تلقى اللقاح ووضع البيض ؛ وأما الذكور الملقحة فلا عمل لها كذلك إلا الإلقاح ؛ وأما الاناث العقم المقاتلة فلا تقوم بأى عمل غير الغزو والحصول على الارقاء كلما دعت الحاجة ، وذلك بأن تغير على قرية من قرى « الفورميكافيسكا » المستقلة وتسلب ماتجده فى هذه القرية من البيض وتحمله إلى أحجارها حيث يفقس ويصبح نتاجه من طائفة الخاضعين ؛ وأما الأرقاء فتقوم وحدها بكل الأعمال اللازمة للقرية وما فيها كحفر الأحجار وبناء الخلايا اللازمة للبيض ، وحراسة القرية والزود عنها ، وتعهد ماتضعه الإناث المنتجات من البيض ، وتربية مايخرج منه من الديدان ، وجلب الغذاء وادخاره واطعام أسيادها الكبار أنفسها بأن تضع القوت فى أفواهها ، وإذا دعت الحاجة إلى تغيير القرية لعدم صلاحيتها مثلا فالأرقاء وحدها هى التى تقوم بتخطيط القرية الجديدة وتنظيمها وحفر الأحجار فيها ونقل أسيادها إليها ، فترى كل رقيق حاملا فى فمه سيدا من أسياده ولا يزال يعدو به حتى يضعه فى مكان من القرية الجديدة مقابل للمكان الذى كان به فى القرية القديمة . . الخ . وقد لاحظ الأستاذ « بيرهور » أنه لو تجردت قرية من قرى « الفورميكاريفيسنس » من الأرقاء لفنى أفرادها فى زمن وجيز . وأثبت ذلك بتجربة أجراها بأن ترك طائفة من الفورميكاريفيسنس فى قرية من قراها بدون ارقاء ، فعلى الرغم من أن هذه القرية كان بها كمية كبيرة من القوت المدخر الذى يثير وجوده غريزة طلب الغذاء ، وطائفة من البيض ، من الصغار التى يثير وجودها غريزة الأبوة لدى الكبار ، فان هذه لم تبد حراكا ولم تقم بأى عمل نحو بيضها وصغارها ولم تستطع

حتى اطعام نفسها بنفسها فمات أكثرها جوعا والقوت بين يديه وفى معظم الصغار . وحينئذ أدخل الأستاذ هوبر رقيقا واحدا من الأرقاء التى كان قدانتزعها من القرية ، فطفق هذا الرقيق من فوره يعمل على تنظيم القرية واسعاف مابقى فيها من أسياده على قيدالحياة ، فحمل القوت للكبار ووضعه فى أفواهها وتعهد الصغار ، وأخذ يبنى الخلايا ، يصلح ماتهدم منها ، وهكذا لم يمض وقت طويل حتى دبت الحياة فى القرية وعاد كل شىء فيها سيرته الأولى بفضل هذا الرقيق .

ولا يخفى ما لغريزة الاسترقاق هذه من الاتصال بغريزة طلب الغذاء

١٦ — غريزة الخضوع للغير — وهى الغريزة المقابلة للغريزة السابقة ، فهى استعداد يحمل الحيوان على الخضوع للغير وخدمته وقضاء حاجياته ، وتوجد لدى طائفة كبيرة من الحيوانات الداجنة (الكلب ، الحصان ، الحمار ، البقر . . . الخ) : « وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون » . وتوجد كذلك لدى طوائف أخرى من الحيوانات غير المستأنسة ومن الحشرات . وقد تبين لك مما قلناه فى غريزة الاسترقاق أن غريزة الخضوع هذه قد بلغت أقصى مايمكن أن تبلغه لدى « الفورميكا فيسكا » التى تتخذها أفراد « الفورميكا ريفيسنس » بمثابة أرقاء .

١٧ — غريزة العطف على الأجنبى — يوجد العطف على الأجنبى بشكل غرزى عند كثير من طوائف الحيوانات أشهرها مايلى :

ا — النمل ، الذى زودت بعض طوائفه باستعداد فطرى يحملها على أن تؤوى لديها أصنافا معينة من الحشرات ذات الغرائز الطفيلية التى لايمكنها أن تعيش إلا بمجهود غيرها ، ويدفعها إلى القيام بكل مايلزم لحياة هذه الحشرات الأجنبية عنها التى لا تمت إلا فصيلتها بأية صلة . ومن الغريب أن كثيرًا من هذه الحشرات لاتكتفى بما يحمله لها كبار

النمل من القوت بل تسطو على صغاره وتفترسها ، وهكذا لا يمضى على القرية التى حلت فيها زمن يسير حتى تبيد ويفنى مافيها (ويرجع إلى الأستاذ واسمان « E. wasmann » الألمانى الفضل فى الكشف عن هذه الغريزة) .

ب — « البيسرون » (صنف من البعوض يعكف على النباتات) الذى لاحظ العلامة «هوبير» وجود هذه الغريزة عند بعض أنواعه ونقل ذلك عنه «دارون » فى كتابه « أصول الأنواع » بعد أن أثبته بالتجارب ، حيث قال ماملخصه : « يحيط بالبيسرون طائفة من النمل تخزه وخزات خفيفة بخراطيمها فيفرز لها سائلا خاصاً تتغذى به . وقد ثبت لى أن هذا العمل غرزى وأن البيسرون لا يقوم به إلا مع النمل . فقد أبعدت مرة طائفة من النمل كانت تحيط بنحو اثنتى عشرة بعوضة من هذا الصنف فوق شجيرة من الشجيرات ، ولم أدع أى نملة جديدة تدنو منها فى أثناء بضع ساعات . فلاحظت أن البعوض قد أحجم طول هذه المدة إحجاماً تاما عن الإفراز وعبثاً حاولت إثارة إفرازها بطريقة شبيهة بالطريقة التى يسلكها معها النمل . فقد عمدت إلى شعرة دقيقة وأخذت أداعب بها بطونها كما تفعل معها النمل بخراطيمها مستعينا فى عمل هذا بمنظار معظم . ولكنها ، على الرغم من ذلك وعلى الرغم من مضى مدة طويلة تحتاج بعدها للإفراز ، أبت إلا التمادى فى الاحجام . وحينئذ تركت نملة واحدة تدنو منها . فأخذت هذه النملة تخز كل بعوضة منها بخرطومها وما هى إلا فينة يسيرة حتى طفق البعوض كله يفرز سائله السكرى وأخذت النملة تمتصه بنهم شديد » .

هذا ، ولا يخفى ما لهذه الغريزة فى جميع مظاهرها من الصلة بالغريزة السابقة (غريزة الخضوع للغير) .

١٨ — غريزة الاجتماع — وهى عبارة عن ميل فطرى مزودة به طائفة من الحيوانات العليا والحشرات والطيور (الإنسان ، الفيل ، القردة ، الأنعام ، النحل ، النمل ، الدجاج ، النعام ، البجع . . . .) يحمل كل فرد من أفرادها على طلب العيش وسط جماعة من طائفته وعلى الاندماج فيها وعلى القيام بأعمال من شأنها ، حمايتها وإصلاح شأنها .

ولا يخفى مالهذه الغريزة من الصلة بغريزة طلب الغذاء .

١٩ — غريزة الملكية والاستئثار — قد زودت طائفة كبيرة من الحيوانات (منها الإنسان) باستعداد فطرى يحملها على اعتبار كل شىء نافع لها من الأشياء التى تعثر عليها أو يكون لمجهودها أثر فى إيجادها بمثابة ملك خاص بها تستأثر به وتزود عنه وتمنع الغير أن تمتد يده إليه . وتظهر هذه الغريزة بشكل جلى فيما يتعلق بأغذية الحيوان ومنازله . فترى الحيوانات آكلة اللحوم يأخذ منها الغضب كل مأخذ إذا حاول حيوان آخر مشاركتها فى فريستها أو أخذها منها فتصول وتزأر وإذا لم تستطع دفع المعتدى فرت هاربة بفريستها ؛ وترى الهرة تدفعك بكل ما أوتيت من قوة إذا حاولت أن تأخذ منها قطعة لحم ولو كنت أنت الذى أعطيتها إياها . وترى الطفل الإنسانى نفسه ، ولما يتجاوز طفولته الأولى ، يسلك نفس السلوك حيال كل من يحاول أخذ غذاء من يده أو الاستيلاء على لعبة من لعبه أو على هنة من الهنات التى يعتبرها ملكه الخاص ولو كان أقرب الناس إليه . وترى صغار كثير من الحيوانات الثديية ، وهى لم تمنح بعد نعمة البصر ، يدفع كل منها الآخر عن ثدى أمه ليستأثر هو بالغذاء ، ويشترك معها فى هذا المعنى صغار كثير من الطيور التى يطعمها أبواها (ولهذه الغريزة مظهر غريب لدى أفراخ الكوكو تكلمنا عنه فى نهاية كلامنا عن غريزة وضع البيض فى أعشاش الغير . — انظر رقم ٨) .

وترى الديك القوى يدفع الديكة الضعيفة عن الطعام محاولا أن يستأثر به لنفسه ولدجاجاته . . . ؛ وترى معظم الحيوانات والطيور تذود عن عرينها وأجحارها وأعشاشها ومنازلها وقرارها بوسائل خاصة فطرت عليها . سنة الله التى قد خلت فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ويلطف هذه الغريزة فى كثير من المواقف غرائز أخرى أهمها غريزة الأبوة والغريزة الجنسية وغريزة الخضوع للغير وغريزة العطف على الأجنبى والغريزة الاجتماعية (انظر ٣ ، ٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨) .

ولا يخفى مالهذه الغريزة من الاتصال بغريزتى طلب الغذاء والحذر (أنظر ١ ، ٢)

(٢٠) — غريزة المهاجرة — زودت طائفة كبيرة من الطيور باستعداد فطرى يحملها ، عند حلول بعض فصول السنة ، على الهجرة إلى اقليم أكثر ملاءمة لحياتها ولغذائها ولما يتطلبه تكوينها الجسمى من الاقليم الذى قضت فيه الفصل السابق . ومن هذه الطيور الجراد (وقد هاجرت طوائف منه إلى مصر أكثر من مرة وسببت هجرتها خسارات فادحة للمحصولات الزراعية) وما يسميه العامة بأبى فصادة وبعصفور النبى اللذين يهاجران إلى مصر فى فصل الربيع وما يسميه الفرنجة بالكدكد وهو كثير الهاجرة .

وهذه الغريزة كالتى قبلها متصلة اتصالا وثيقا بغريزتى الغذاء والحذر

(٢١) — غريزة الاستئناس والتوحيش — تطلق كلمة المستأنس على كل حيوان لا ينفر من الإنسان ويميل إلى العيش معه ، والمتوحش على كل حيوان ينفر منه ، يرهبه . وقد قرر الأستاذ وليم جمس ، أن طائفة كبيرة من الحيوانات تولد مزودة بغريزة الاستئناس أو على الأقل مجردة من غريزة التوحش . ولكن هذا الاستعداد إن لم يتعهد من وقت الولادة

ويعود صاحبه الاختلاط بالنوع الانسانى لايلبث أن يتلاشى وتحل محله غريزة التوحش والنفور من الانسان ولو كان الحيوان من فصيلة الدواجن وإذ ذاك يصعب ارجاعه إلى فطرة الاستئناس الأولى وبخاصة إذا كانت كباره متوحشة .

ولا يخفى ماهذه الغريزة من العلاقة بغريزتى الغذاء والخطر .

(٢٢) — غريزة التشكل والتلون : — وهى استعداد فطري يحمل الحيوان على تغيير لونه أو شكله فى بعض الفصول او فى بعض المواقف أو عند شعوره بانفعالات خاصة .. الخ ، مستعينا فى ذلك بخواص طبيعية فى تركيبه الجسمى أو بأشياء خارجة عن جسمه . وقد زود بهذا الاستعداد الغرزى كثير من الحيوانات والحشرات يجتزئ بأن نذكر منها مايلى :

ا — الحرباء ، التى قد ذهب لونها بلون المكان الذى تحل فيه مضربا للأمثال .

ب — بعض فصائل الكراب (حيوان بحرى صغير) التى تلصق بظهرها وبأرجلها بعض أعشاب من نبات بحرى يسمى الألج « Algue » لدرجة تلتبس معها بذلك النبات فتضلل الناظر إليها .

ولا يخفى أن هذه الغريزة متصلة فى معظم مظاهرها بغريزة الخطر (انظر رقم ٢)

٢٣ — غريزة حب الاطلاع : — وهى استعداد فطرى يحمل الانسان وبعض أنواع الحيوان إلى الاقتراب من الشيء الغريب أو الجديد أو غير المألوف لاختباره ومعرفته والتحقق منه والحكم عليه .

ولهذه الغريزة اتصال وثيق فى أصلها بغريزتى طلب الغذاء والخطر (انظر ١، ٢).

٢٤ — غريزة الحل والتركيب: — يولع الطفل الانسانى فى دور من أدوار طفولته بتحطيم معظم الأشياء التى تصل إليها يده وبتحليلها إلى أجزائها ثم بتركيبها وإرجاعها إلى ما كانت عليه مجيباً بذلك داعى غريزة يطلق عليها بعضهم غريزة الحل والتركيب وبعضهم غريزة التجربة، وإن هى فى الواقع إلا مظهر من مظاهر غريزة حب الاطلاع السابق ذكرها.

٢٥ — غريزة حب الظهور: — ويسميها بعضهم بغريزة حب التسلط أو حب السيطرة. وهى ميل فطرى يحمل الحيوان على أن يدل بقواه الجسمية أو النفسية على محاولة السيطرة على غيره، وتلازم الانسان فى كل أدوار حياته، وتوجد كذلك عند طائفة من الحيوانات العليا والطيور، فترى الحصان مثلا يتظاهر بقوة عضلاته، فيقف عالى الرأس مقوس الرقبة شامخ الأنف، وإذا سار مع غيره قويت حركته وظهرت رغبته فى سبقه، وترى الكلب الكبير يتظاهر أحياناً بالقوة أمام الكلاب الصغيرة، والدجاجة تتبختر فى مشيتها أمام أفراخها، والديك تبدو عليه مظاهر العجب بجسمه وريشه وصوته أمام دجاجاته؛ وذكر الحمام أمام أنثاه.. وهلم جرا. وواضح أن الحيوانات والطيور لاتشعر بالفخر الذى تتضمنه هذه الغريزة.

ولا يخفى ماهذه الغريزة فى كثير من مظاهرها من الصلة بالغريزة الجنسية (انظر ٣).

٢٦ — غريزة تنظيف الجسم وتنظيم ماعليه من شعر أو ريش: —

توجد هذه الغريزة لدى جل الطيور فترى صغارها نفسها وهى لاتزال فى عشها تقوم بتنظيم ريشها وتنقيته مما عسى أن يكون عالقاً به من مواد

أجنبية أو حيوانات طفيلية مستعينة فى ذلك بمنقارها ، وتقوم بهذه العملية بشكل فطرى غريزى ، بدليل أنها تؤديها ولو لم تر أحداً من كبارها يعملها أمامها . وتبالغ فصائل كثيرة من الطيور فى العناية بالنظافة ، فتميل بغريزتها إلى الاستحمام برش الماء على ريشها ونفضه (ومن هذه الفصائل الحمام واليمام وما إليهما) . وتوجد هذه الغريزة كذلك عند كثير من الحيوانات الثديية كالقطط التى تقضى شطراً كبيراً من وقتها فى لعق جسمها وتنظيفه بلعابها .

ولا يخفى ما لهذه الغريزة من الصلة بالغريزة السابقة .

٢٧ — غريزة السباحة : — وقد زود بها ، كما هو مشاهد ، كثير من طوائف الحيوانات والطيور ، فترى البطة الصغيرة بمجرد خروجها من البيضة تسبح فى الماء بمهارة لا تقل مطلقاً عن مهارة كبارها ، ولو لم تر من قبل أحداً منها يقوم أمامها بهذه الحركات .

٢٨ — غريزة الغناء : — وقد زودت بها طوائف كثيرة من الطيور داجنها ووحشيها . وتبدو مظاهرها لديها فى فصول معينة أو فى مواقف خاصة أو تحت تأثير بعض الحالات الجسمية أو النفسية .